10- مقاومه النفوذ البويهي:

دور العيارين والشطار في مقاومة الوجود البويهي :

قبل الخوض في الحديث عن العيارين لابد من التعرف على هؤلاء العيارين والشطار ولماذا اطلقت عليهم هذه التسمية في العراق وبماذا كانوا يعرفون في بقية ارجاء العالم الاسلامي وما هو سبب وجودهم . ظهر العيارون والشطار في مناطق مختلفة من العالم الاسلامي ومن بينها العراق مصر والشام ويبدو من تسميتهم أنهم يحسنون الرماية واصابة الهدف من خلال لفظة العبار والشطار ربما تعني سرعة الحركة و الإفلات من العقاب أو من القاء القبض عليه بعد انجاز مهمته وقد اره ظهرت امثال هذه الحركات في وقت متقدم ابان العصر العباسي ، فنسم عن وجود تحركات للعامة في بغداد في عهد الخليفة العباسي ، محمد الامين اثناء حصار بغداد ، وقد استعان بهم الامين وقد ابلوا بلاء حسنا، لكن ما ينقصهم هو الخبرة والقيادة ، كما ظهروا بشكل أكثر تنظيما اثناء حصار بغداد سنة 251هـ / 865م في عهد الخليفة المستعين بالله ، وتظهر امثال هذه الحركات اثناء الاضطرابات الداخلية وضعف السلطة المركزية واصبحوا قوة يحسب لها الف حساب ففي العراق اطلق عليهم المبارين والشطار وفي بلاد الشام بالزعار وفي مصر عرفوا باسم الفتوة أو الفتيان او المطاريد او الحرافيش او اوباش او رعاع او طرارون و قد أدت عوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية دورا في ظهور هذه الحركات، فضلا عن الغزو الأجنبي وتردي الاحوال العامة في العراق على سبيل المثال لا الحصر .

وقد تبلورت هذه الحركة في الربع الأخير من القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد ، حين زاد الارتباك السياسي وساءت حالة الناس المعاشية واستمرت هذه الحركة حتى نهاية النفوذ السلجوقي في بغداد، اذ لعب العيارون والشطار دورا مؤثرا في الأحداث السياسية في مختلف مدن العراق. وظلت حتى نظمها ووضع اسما الخليفة الناصر لدين الله تحت اسم الفتوة ويبدو من خلال اقوال المؤرخين المعاصرين أن حركة العيارين والشطار التي بدأت بوصفها تمرداً على سوء الأوضاع المعاشية والفوضى الاجتماعية والسياسية ، قد استغلت من قبل جماعات عديدة من العوام ايضا ، الذين لم يكن لهم هدف او رأي منظم، بل مدفوعين من اجل السلب والذهب ، ومن هنا جاء تباين آراء المؤرخين من رواد و محدثين حول طبيعة حركة العيارين والشطار واهدافها ، فيقول ابن الجوزي حين يقف العيارين والشطار قائلا : ((فانهم يسمون بالفتيان ، ويقولون : الفتى الأيرني ولا يكذب ويحفظ الحرم ، ولا يهتك ستر إمرأة و مع هذا لا يتحاشون من أخذ أموال الناس ويسمون طريقتهم الفتوة عليهم المبارين والشطار وفي بلاد الشام بالزعار وفي مصر عرفوا باسم الفتوة أو

الفتيان او المطاريد او الحرافيش او اوباش او رعاع او طرارون و قد أدت عوامل اجتماعية وسياسية واقتصادية دورا في ظهور هذه الحركات، فضلا عن الغزو الأجنبي وتردي الاحوال العامة في العراق على سبيل المثال لا الحصر .

وقد تبلورت هذه الحركة في الربع الأخير من القرن الرابع للهجرة / العاشر للميلاد ، حين زاد الارتباك السياسي وساءت حالة الناس المعاشية واستمرت هذه الحركة حتى نهاية النفوذ السلجوقي في بغداد، اذ لعب العيارون والشطار دورا مؤثرا في الأحداث السياسية في مختلف مدن العراق. وظلت حتى نظمها ووضع اسما الخليفة الناصر لدين الله تحت اسم الفتوة ويبدو من خلال اقوال المؤرخين المعاصرين أن حركة العيارين والشطار التي بدأت بوصفها تمرداً على سوء الأوضاع المعاشية والفوضى الاجتماعية والسياسية ، قد استغلت من قبل جماعات عديدة من العوام ايضا ، الذين لم يكن لهم هدف او رأي منظم، بل مدفوعين من اجل السلب والذهب ، ومن هنا جاء تباين آراء المؤرخين من رواد و محدثين حول طبيعة حركة العيارين والشطار واهدافها ، فيقول ابن الجوزي حين يقف العيارين والشطار قائلا : ((فانهم يسمون بالفتيان ، ويقولون : الفتى الا يرني ولا يكذب ويحفظ الحرم ، ولا يهتك ستر إمرأة و مع هذا لا يتحاشون من أخذ أموال الناس ويسمون طريقتهم الفتوة ويجعلون لباس السراويل للداخل في مذهبهم كلباس الصوفية للمريد المرقعة)) .

ويبدو من خلال رأي ابن الجوزي ان حركة العيارين والشطار قد ظهرت بوجهين الأول اجتماعي حيث أنها حركة اجتماعية منظمة قام بها الضعفاء من الناس من كل الاجناس كما ذكرنا ذلك سابقا اذ ضمت حتى العباسيين والعلويين في صفوفها ، وقد ظهرت في بغداد والمدن الكبيرة لاسباب من بينها أنه يصعب على السلطة مهما كانت ان تكتشف خيوطها مقارنة بالقرى والقصبات لسعة المدينة وكثرة سكانها والوجه الثاني ان لهذه الحركة مباديء اخلاقية منها الفقه وعدم المجون ، ولهذا اطلقوا على تنظيمهم لقب ((الفتوة)) وكان قسمهم هو بحق الفتوة وهذا يعني أنها امانة في اعناقهم. وقد وصف المؤرخ ابن الأثير سيرة احد زعماء العيارين وهو البرجمي فقال: ((كان فيه فتوة وله مروءة ولم يعرض لإمرأة ولا الى من يستسلم اليه)) .

اما التنوخي فقد وصف ابن حمدون العيار فقال: ((فيه فتوة وظرف...لا يفتش أمراة ولا يسلبها ، ولم يعرض لأصحاب البضائع القليلة - أي صغار التجار - التي تكون دون الألف، واذا اخذ ممن حاله ضعيفة قاسمه عليه ، فترك شطر ماله في يديه)) ، وقد دافع العيارون عن رأيهم في سلب التجار واصحاب الثروة بعض أموالهم او كلها بزعمهم أن هؤلاء الاغنياء لم يدفعوا زكاة أموالهم. وان الضعفاء من العيارين يستحقونها ، وان اخذ اموال التجار مسموح به (لأن عين المال مستهلكة

بالزكاة وهم العيارون مستحقون للزكاة ، شاء ارباب المال أم كرهوا) الا ان عنف الهجمات على الاسواق والتحكم في ارباب التجارة ، بفرض ضرائب معينة عليهم ونهب دورالمثرين وما صاحب ذلك من اعمال قتل وحرق، تشير دون شك الى دخول عناصر دخيلة غير منظمة في حركة العيارين واستغلال مباديء العيارين وسمعتهم، لتحقيق أغراض دنيئة من اجل تحقيق مصلحتهم في اشباع رغباتهم تحت ستار العيارين مما نشر الفوضى واعاق التطور والنمو الاقتصادي والصناعي والحضري وتعطيل التجارة والزراعة ومشاريعها قياسا إلى فترات سابق ، مما دعا بعض المؤرخين الى وصف حركة العيارين باللصوصية والاجرام وهذا هو الوجه الثاني للعيارين وبعد أن تطرقنا الى نشوء حركة العيارين والشطار نتناول الآن دورهم في مقاومة الوجود البويهي في العراق ، ففي الفترة الأولى من الوجود البويهي في العراق ، كانت للبويهيين قوة عسكرية كبيرة في العراق ، ولهذا نلاحظ ان نشاطهم كان ضعيفا في عصر قوة البويهيين ، لكن العيارين والشطار لم يتركوا الحبل على الغارب للبويهيين ، بل استغلوا الظروف الداخلية والخارجية لصالحهم ، ففي سنة 361هـ/971 - 972 وعندما بلغت التجاوزات البيزنطية مداها ، هب الناس يدعمهم العيارين والشطار لنجدة اهل الرّها والجزيرة الفراتية، وأوقع الناس الخسائر الفادحة في ممتلكات البويهيين واعوانهم، وتكرر هذا الهياج في سنة 364هـ /974م ، حيث قادهم في هذه المرة زعيم العياريين الزيد العاري ، وتمكن العيارين من أخذ الضرائب من سكان الدروب ومن اصحاب الدكاكين في الاسواق ..

كما نشطت حركة العيارين والشطار في سنة 379 -380هـ / 989-990م وظهروا جهارا في الاسواق والدروب ، وهذا يعني قوتهم من ناحية وضعف الوجود البويهي من ناحية اخرى، وقد قاموا بقتل كل من يقف ضدهم من اعوان البويهيين ، وظهر تنظيمهم بشكل واضح فاصبح لكل درب امير ولكل محلة مقدم ، وتولى قيادتهم العبار عزيز البايمري، وقد طالب العياريين البويهيين بحسن معاملة الناس وانصافهم، وقد تصدى البويهيين لهذي الحركة ورصدوا لها الامكانات المالية من أجل الحد من نشاطهم وفي سنة 384هـ/ 994م امر العيارين ببغداد ، وتجدد نشاط العيارين في الأعوام 390 -393هـ /1000-1003م مما أجبر البويهيين على تكليف عميد الجيوش أبي علي بن هرمز على التصدي لهم ومحاربتهم ، لكنه لم يستطع القضاء عليهم وفي مطلع القرن الخامس للهجرة /الحادي عشر للميلاد بدات عوامل الضعف تدب في الدولة البويهية ، فظهروا في بغداد مرة أخرى سنة 408هـ /1017م ، وقاموا بمصادرة اموال البويهيين والاشخاص الموالين لهم .

كما ازداد نشاطهم بشكل واضح في سنة 416هـ / 1025م، حيث تحدوا السلطة البويهية بشكل واضح ودون خوف أو وجل فظهروا عيانا امام الناس ليلا ونهارا ، وكانوا اثناء مسيرهم ليلا

يحملون المشاعل ومدججين بالسلاح، وفي هذه السنة ايضا نهبوا أموال الحاكم البويهي مشرف الدولة ، فضلاً. عن أموال الاشخاص الذين يساندون الوجود البويهي وقد أشار ابن الأثير إلى ذلك فقال : (في هذه السنة ظهر امر العيارين ببغداد فقتلوا النفوس، ونهبوا الاموال وفعلوا ما أرادوا ، واحرقوا الكرخ ورغلا السعر بها ،حتى بيع كر الحنطة بمائتي دينار قاسانية) وفي سنة 417هـ/1026م ازداد نشاط العيارين في بغداد، واقلقوا الادارة البويهية ولم يقبلوا بالخروج من البلد، حيث أنذرهم الحاكم البويهي بضرورة الخروج من البلد وبدلا من أن يخرجوا من البلد هاجموا معسكرات الجند البويهي ، فرد عليهم البويهيون باحراق عدد من الدور التي كان يحتمي بها العيارون وفي سنه 420هـ/ 1029م ازداد نشاط العيارون في بغداد، وتزعم قيادة حركتهم أبو يعلى الموصلي، الذي اتخذ من منطقة عكبرا مقرا له ، وقد هاجم ابو يعلى الموصلي الشرطة وقتل بعضهم ، وكان يسير مع اتباعه وسيوفهم مسلولة، استعدادا لأي طاريء قد يتعرضون له .

كما برز في هذه المدة نشاط العيارين بزعامة البرجمي وقد عرف عن هذه الشخصية شدتها وقوتها في معاملة البويهين والأشخاص المتعاونين معهم، وكان لايصعب عليهم أي هدف مهما كان بعيد المنال، حتى ولو كان بقرب دار الحاكم البويهي، وقد اضطر الجند البويهي إلى أخذ خيولهم معهم بعد أن تعرضت اصطبلات الجلد إلى الهجوم من قبل العيارين، ونقل الحاكم البويهي دوابه إلى داخل دار المملكة البويهية، والتي تقع في الجانب الشرقي من بغداد لكن كل هذه الاحتياطات لم تجد نفعا امام نشاط العيارين والشطار في بغداد، فاقتحموا دار المملكة البويهية، ونهبوا ما خف وزنه وغلا ثمله ونهبوا الخيول التي ظن البويهيون انها في مأمن من العيارين. وهنا وضح للعيان عجز البويهيين وفشلهم في التصدي لنشاط العيارين الذين هاجموها في عقر دارها ، واشتبك البرجمي واتباعه مع القوات البويهية التي عجزت عن مقاومته وهربت امامه .

وفي سنة 424هـ/ 1032م قتل اعوان البرجمي صاحب الشرطة في بغداد ، وهذا هو أكبر تحد للوجود البويهي فصاحب الشرطة يمثل ما يعرف اليوم بوزير الداخلية وهو عمل كبير لا يمكن التغافل عنه ، وهنا جندت السلطة البويهية كل طاقاتها وامكاناتها للقضاء على البرجمي واتباعه بعد ان اطاعه الناس وعمال البويهيين انفسهم وجرى اشتباك عنيف مع قوات البويهيين، التي كانت قد اكملت كل استعداداتها لمواجهة البرجمي ، حتى تمكنت من قتله .

ت ـ المقاومة العربية للتسلط البويهي

أ_ المقاومة الحمدانية :

ترجع الأسرة الحمدانية في نسبها الى بطن من بطون تغلب بن وائل من العرب العدنانية ، وقد برز دورهم منذ خلافة المعتضد بالله ((279- 289هـ / 892-902م)) ، وسيطروا على قلعة ماردين - تقع الآن في جمهورية تركيا - لكن قوة الخليفة المعتضد بالله منعتهم من الظهور بشكل علني فقاد هذا الخليفة جيشا وتوجه به صوب مقرهم ماردين وسخرهم لخدمة الدولة العباسية بحيث قضت هذه الأسرة على أحد أكبر زعماء الخوارج في عهده ولكن ضعف الخلفاء الذين جاءوا من بعده وتعرض الخلافة العباسية الى هزات كبيرة ، فسح المجال امام الحمدانيين للظهور من جديد على الساحة السياسية وبخاصة ابان عصر امرة الأمراء ((334-320هـ /932-945م))، وقد لعبت هذه الامارة دورا مهما في التصدي للبيزنطيين, بعد أن سيطر البويهيون على منطقة الاحواز كما مر بنا في بداية الفصل الأول ، تطلع البويهيون للسيطرة على العراق ، وكان في منطقة ولاية البصرة اسرة تحكم هذه المنطقة عرفت بالاسرة البريدية ، التي لم تكن مخلصة للخلافة العباسية ولا لأهل ولاية البصرة التي كانت سببا في وجودها وثرائها بل حاولت هذه الاسرة اكثر من مرة التطلع للسيطرة على مدينة واسط ومن ثم التوجه الى بغداد ، كما نتذكر انها كانت وراء سيطرة البويهيين على الاحواز ، عندما هرب البريدي الى البويهيين بعد هزيمته في احد المعارك، زين البريدي للبويهيين السيطرة على العراق أكثر من مرة .

بعد احتلال البويهيين للاحواز تطلعوا للسيطرة على العراق وقادوا عدة جيوش لهذا الغرض وقد فشل امير الامراء ابن رائق في التصدي للخطر البويهي ، فتحرك ناصر الدولة الحمداني الى بغداد بقواته وشغل منصب امير الامراء سنة 330هـ / 941م ، وعندما علم البريدي بتولي ناصر الدولة لمنصب امير الامراء، لم يرق له هذا التغيير، وبخاصة أن حليف البويهيين، فسار البريدي يريد السيطرة على بغداد، فتصدى ل ناصر الدولة و اشتبك معه في معركة الكيل - قرب المدائن الحالية .. كتب فيها النصر الحمدانيين حيث انسحب البريديون الى البصرة ولأجل استثمار الفوز والنصر سار ناصر الدولة الحمداني نحو مدينة واسط وقام بتحكيم مواقع المدينة العسكرية وعين اخاه عليا بن عبد الله الملقى ب سيف الدولة ، وامره بالاستعداد لاسترداد البصرة، فاخذ بعد العد للهجوم على البصرة واستعادتها من يد البريديين ، لكن انحياز قسم كبير من الجند الحمداني المؤلف من الديلم الى البريديين اضعف الجيش الحمداني ، فضلا عن اختلال الوضع في بغداد والذي ادى بالنتيجة الى اضعاف موقف الحمدانيين في بغداد فآثروا الانسحاب الى الموصل وترك الوضع متأزما في بغداد ، وذلك بتولي توزون منصب امر الامراء سنة 331هـ /942م .

لم يحل تولى توزون لمنصب امير الامراء المشاكل في بغداد وبخاصة الأزمة المالية ومن ثم عدم استطاعة الدولة دفع رواتب الجند ولم يستطع توزون من القيام بالموازنة بين الواردات

والنفقات ، فضل عن حل الصراعات المستحكمة بين قادة الجند ، فكل منهم كان يريد ان يمسك بزمام الامور بيده دون غيره غير آن جهوده تبوء بالفشل وهكذا وكلما جاء امير يريد ان تكون الكلمة هي كلمته وقام بمصادرة الأمر الذي كان قبله ، فاضطر الخليفة المتقي الله الى مغادرة بغداد حرصا على حياته لحين الجلاء الموقف ، ولما لم يكن مع الخليفة قوة عسكرية قوه تسنده طلب العون والمساعدة من الحمدانيين الذين اسرعوا للاستجا لطلب الخليفة ، واستقبلته القوات الحمدانية في تكريت ورافقته الى الموصل سنة 332 هـ/ 943م ، الا ان توزون امير الأمراء لاحق القوا الحمدانية الى الموصل وخسرت الامارة الحمدانية ولاية الموصل جر هذا النزاع ، ويعود السبب في مطاردة توزون للقوات الحمدانية وللخليفة المطيع الله ، لكي يكتب موقفه الصفة الشرعية واثناء هذه الأوضاع ظهر أبو جعفر بن شيرزاد في بغداد وكان قد جند قسما من سكانها لصالحه فالتحق بناصر الدولة الحمداني، الذي آمده بقوة عسكرية حمدانيه ثم رجع ابن شيرزاد الى بغداد الغربية لينضم الى الجيش الحمداني الموجود فيها بقيادة أبي العطاف جبير بن عبد الله بن حمدان - حيث تسلل هذا القائد مع قسم كبير من الجيش الحمداني الى مدينة بغداد، واخذ ابن شيرزاد بدير بغداد نيابة عن ناصر الدولة الحمداني ، وقد رحب سكان بغداد بهذا الاجراء على امل التخلص من الوجود البويهي فيها كما تحرج موقف البويهيين في بغداد نتيجة لهذا التطور والنجاح الذي حققه ناصر الدولة ، اذ اصبحوا بين قوتين حمدانيتين الأولى في عكبرا والثانية في بغداد ثم سار ناصر الدولة الى بغداد ودخلها في رمضان من السنة نفسها .

وعندما علم معز الدولة بهذه النجاحات تحرك بجيشه صوب مدينة سامراء وتكريت ، واوقع بهما الدمار لأنهما من املاك الحمدانيين، ثم تحرك صوب بغداد فدخل في الجانب الغربي ، ولما علم ناصر الدولة بالامر غادر الجانب الغربي وعسكر في الشماسية، فاصبح الجانب الشرقي من بغداد بيد القوات الحمدانية والجانب الغربي بيد البويهيين، وجرت معركة نهرية عرفت بموقعة نهر دجلة، تكبد البويهيين فيها الخسائر الفادحة واغرقوا اغلب السفن البويهية واستولوا على معدات مهمة من الجيش البويهي.

وفي بداية شوال من السنة نفسها اعد ناصر الدولة خطة عسكرية لإختراق تحصينات البويهيين في الجانب الغربي من بغداد لكن خيانة الجند الديلمي في معسكر ناصر الدولة قلب الكفة لصالح البويهيين، على الرغم من محاولة ناصر الدولة تحقيق النصر حيث اعد قوة من الف مقاتل اشتبكت مع الجيش البويهي .

كما شدد ناصر الدولة الحمداني الحصار على بغداد لمنع الميرة والعلف من الوصول إلى الجيش البويهي وتمت مراقبة المعابر بين الجانبين من قبل ابن شهرزاد، حتى فكر معز الدولة بمغادرة بغداد والعودة الى الاحواز، لكن قائد الجيش البويهي المدعو اصفهدوست والوزير أبا جعفر الصيمري اعدا خطة باغتت الجيش الحمداني وذلك بالعبور الى الضفة الشرقية لنهر دجلة ، فسيطروا على الجانب الشرقي من بغداد فاضطر ناصر الدولة الى الانسحاب الى منطقة عكبرا ، حيث تبعهم كثير من الناس خوفا من انتقام البويهيين منهم لأنهم ساندوا ناصر الدولة في حربه ضدهم ، وقد قتل قسم منهم من قبل القوات البويهية. وظل الأمر متوترا الى سنة 335هـ /946م حيث تم عقد صلح بين الطرفين ، تكون بموجبها الموصل وبلاد الشام ومصر للحمدانيين، على أن يرسل ناصر الدولة الميرة والعلف الى بغداد ، مع دفع مبلغ من المال سنويا الى البويهيين في بغداد. وقد وصف ابن الجوزي الحالة بعد هذه الهزيمة فقال: ((انهزمنا يومئذ مع ناصر الدولة الحمداني ، من بين يدي معز الدولة البويهي .... فرأيت ما لالحصي من اهل بغداد قد تلفوا بالحر والعطش ونحن نركض هاربين فما شبهته الا بيوم القيامة)) و ((خاف الناس السيف فهربوا على وجوههم، وكانت العذراء والمخبأة المترفة والصبية والاطفال والعجائز وسائر الناس يخرجون على وجوههم يريدون الصحراء ، وكان ذلك اليوم حارا فلا يطيقون المشي)) وبعد رجوع معز الدولة الى بغداد ، ارسل جيشا إلى البصرة فاستعادها من يد أبي القاسم البريدي ثم شعر معز الدولة بقوته بعد هذا الانتصار، فكتب كتابا على لسان الخليفة المطيع الله وارسله الى ناصر الدولة يأمره فيه بارسال الاموال المتفق عليها إلى بغداد وقد أرسل ناصر الدولة المال المقرر الى بغداد سنة 336هـ / 947م ، تدفعه اسباب داخلية وخارجية فظهور القرامطة في حلب وحركة جمان في الرحبة، فضلا عن انشغال قسم من جيش ناصر الدولة في مهمه جهادية على الحدود مع الدولة البيزنطية ،لكن الحال تغيرت في سنة 337هـ / 948م ، فامتنع ناصر الدولة من ارسال المال المقرر الى بغداد وتكررت هذه الحالة أكثر من ثلاث مرات فضلا عن حدوث اشتباكات بين الطرفين وحدوث كر وفر الطرفين واخلاء الموصل واحتلالها من قبل الجيش البويهي ، حيث تم عقد صلح بين الطرفين، بعد أن اضطر معز الدولة البويهي إلى الذهاب الى جرجان لدعم احد افراد اسرته ، ونص الصلح على ما يأتي: انسحاب البويهيين من الموصل يدفع ناصر الدولة للبويهيين سنويا مبلغ 8000000 درهم ، أن تقام الخطبة للبويهيين في الموصل وبقية املاك الحمدانيين أن يقدم ناصر الدولة ولديه رهائن عند البويهيين وهما الفضل والحسين ، وكاد ناصر الدولة في احد المرات أن يحرر العراق من البويهيين أثناء تمرد روزبهان بن ونداد يساعده في ذلك اخويه بيلكا شيراز واسفار في الاحواز حيث تأكد ناصر الدولة ان الدائرة ستكون على معز الدولة البويهي وذلك للاسباب التالية :استياء الجند الديلمي من سياسة معز الدولة ، وانحيازهم الى ،روزبهان وسوء أوضاعهم المالية بسبب

عدم صرف رواتبهم ، يأس جيش معز الدولة من الانتصار على روزبهان ، لكن سرعة القضاء على حركة روزبهان ، فضلا عن اجراءات معز الدولة للتصدي للحمدانيين ، افشلت خطة ناصر الدولة لتحرير العراق وطرد البويهيين منه .

وتكررت محاولات البويهيين للسيطرة على الدولة الحمدانية في سنة 347هـ/958م و353هـ/ 964م تم عقد اتفاق آخر بين ابي تغلب بن ناصر الدولة وبين معز الدولة البويهي وهو اتفاق لا يختلف عن الاتفاقات السابقة سوى لنا اقر بولاية ابي تغلب بن ناصر الدولة على الموصل وحلب وانتهاء ولاية ناصر الدولة فعليا ، وقد توفي معز الدولة البويهي في سنة 356هـ/ 966م ، بعد أن عهد لإبنه عز الدولة بختيار بالامر من بعده كانت العلاقة ودية بين عز الدولة بختيار وبين ابي تغلب الحمداني حيث كان من ضمن بنود الاتفاق الموقع بين الطرفين هو زواج ابي تغلب من ابنة عز الدولة بختيار على صداق قدره مائة الف دينار، مع ضمان الاراضي الواقعة تحت سيطرته بمبلغ من المال متفق عليه ، لكن تجدد الازمة المالية المستعصية في بغداد المتمثلة بعدم القدرة على دفع رواتب الجند والموظفين ، أجبر عز الدولة بختيار على نقض الاتفاق ، ولو أن البويهيين كانوا قادرين على اختلاق الأعذار للهجوم على الحمدانيين ، فقاد عز الدولة بختيار جيشا توجه به صوب الموصل في سنة 363هـ/ 974م فغادرها ابو تغلب الى منطقة الجزيرة ، ليلتف من ورائه ويصل الى بغداد حيث سيطر عليها، وعندما علم عز الدولة بختيار بهذا التطور ارسل على جناح السرعة وزيره ابن بقية مع قسم كبير من الجيش البويهي لمنع الحمدانيين من السيطرة على بغداد ، كما ارسل جيشا آخر بقيادة القائد سبيكتكين لمجابهة ابي تغلب ومنعه من تنفيذ هدفه ، ويبدو أن القائد سبكتكين لم يكن ينوي الحرب، وربما كان لبعد عز الدولة عنه، ولكون قسم كبير من الجيش معه، أو كان ينوي القيام القلاب ضد عز الدولة بختيار ، وقد دخل سبكتكين في مفاوضات سرية. ابي تغلب ، نصت على قيام سبكتكين بالقاء القبض على الخليفة العباسي والوزير البويهي واسرة عز الدولة بختيار ، ثم يعلن سبكتكين ثورته ضد عز الدولة بختيار، ويتكفل ابو تغلب بمحاربة عز الدولة بختيار الذي كان معسكرا في اطراف الموصل لكن سبكتكين لم ينفذ الاتفاق والخطة المتفق عليها بل اطاع اوامر الوزير البويهي في بغداد بالعودة لنجدة عز الدولة بختيار الذي كان على وشك السقوط امام البويهين، لكن سبكتكين لم يصل في الوقت المناسب بل جاء وصوله متأخراً، مما أجبر عز الدولة على قبول شروط الصلح الذي فرض عليه الحمدانيون .

وعلى الرغم من قيام عز الدولة باحتلال الموصل بعد وصول نجده سيككن ، الا ان المعاهده تعد نصرا للحمدانيين ، كما اطلق الخليفة لقب ((عدة الدولة)) على الأمير في تغلب الحمداني، الانجازاته في مقارعة البيزنطيين، وفي سنة 363هـ /973-974م أعلن سبكتكين ثورته ضد عز

الدولة بختيار واستجد بالحمدانيين، فاتجده أبو تغلب بجيش يقود اخوه ابو عبد الله الحسين بن ناصر الدولة، وأمره بالتوقف في مدينة تكريت حتى ينجلي الموقف العسكري بين الاتراك بقيادة سبكتكين وبين الديلم بقيادة عز الدولة بختيار ثم دخل ابو تغلب الحمداني بغداد ، فلما حسمت الحرب لصالح البويهين رجع ابو تغلب الى الموصل ، واكتفى بقطع الطعام والعلف عن مدينة بغداد. وفي سنة 367هـ / 977م دخل عضد الدولة بغداد بوصف انه احق من ابن اخيه بالعرش البويهي فغادرها عز الدولة بختيار واستنجد بصهره أبي تقلب الحمداني، وقد اتفقا على محاربة عضد الدولة في بغداد وضرورة الخراجه منها ، وجرت معركة قرب قصر الجص في سامراء ، كان النصر فيها لعضد الدولة ومقتل عز الدولة بختيار وبعد مقتل عز الدولة بختيار غادر أبو تغلب سامراء متوجها إلى الموصل ، وقام باخلاء المدينة من الميرة والعلف ، لكن عضد الدولة احتاط للامر واخذ كل ما يحتاج اليه ، فضلا عن الادلاء ، فوصل عضد الدولة الموصل ودخلها ، وارسل السرايا لتعقب ابي تغلب الحمداني من مكان إلى آخر ، جرث معارك استطاع أبو تغلب من ايقاع الهزائم بسرايا البوبهيين ، لكنه لم يستطع الاستمرار بسبب الخيانة فتوجه إلى الرملة في فلسطين حيث قتل فيها سنة 369هـ/ 979م واخذت اخته جميلة سبيه الى عضد الدولة الذي عرض عليها الزواج منه ، فرفضت هذا الطلب ، وختمت حياتها بالانتحار بعد ان اذلها عضد الدولة البويهي ، وبعد مقتل ابي تغلب وانتحار اخته جميلة ، لم يبق من ابناء ناصر الدولة من يستطيع الوقوف بوجه البويهيين ، حيث جرت محاولة جادة من قبل احد ابناء ناصر الدولة الحمداني وهو ابو طاهر ابراهيم وابو عبد الله الحسين سنة 379هـ/ 989م وتخليص المدينة من السيطرة البويهية .

ب المقاومة العربية للتسلط البويهي في البطائح :

قبل التحدث عن المقاومة العربية للتسلط البويهي في البطائح ، لابد من اعطاء تعريف للمنطقة ولماذا اطلق عليها بالبطائح ، تعرف المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات بالبطائح ، والبطائح جمع بطيحة وهي الأرض المنخفضة التي يقف فيها الماء وقد حدثت هذه البطائح منذ وقت ليس بالقليل . منذ أواخر ايام الدولة الساسانية عندما انشغل ملوكها بمشاكلهم السياسيه والدينيه، فاهملت السدود والجداول والقنوات ، اعقبها فترة الفتح الاسلامي حيث لم تكن الدولة الاسلامية متفرغة لمثل هذه الاعمال الزراعية ، وجرت محاولات حثيثة لتجفيف المستنقعات واستصلاح الاراضي في اواخر العهد الأموي ، لكنها لم تكن كافية، لاعادة الاراضي الى سابق عهدها، وظل الحال هكذا ، حتى قامت ثورة الزنج في العصر العباسي ، وبينت للقادة العسكريين صعوبة السيطرة. على مثل هذه المناطق ، نظرا لوعورة الارض وكثرة الجداول والقنوات فيها فضلا عن كثافة الاشجار

والادغال وانتشار القصب والبردي ، مما يعيق الحركات العسكرية النظامية فيها ، فكيف اذا حدث تمرد في هذه المنطقة ونصبت الكمائن للقوات النظامية .

بعد الاحتلال البويهي للعراق كانت تسكن منطقة البطيحة قبائل سليم، وقد ظهر في هذه الفترة احد القادة العرب وهو عمران بن شاهين، الذي استطاع أن يوحد القبائل الموجودة مع قبيلة سليم وان يكون منها قوة عسكرية لايستهان بها، ومستفيدا من جغرافية المنطقة المعقدة وتعيق تحرك الجيش الداخل اليها ، وكان عليه أن يؤمن حدوده الجنوبية حيث يوجد البريديون، ففاوض ابو القاسم البريدي حاكم البصرة فاعترف به البريدي حاكما مستقلا على الصليق والجامدة وبقية نواحي البطائح، ولما اطمأن عمران ابن شاهين على قوة موقفه قطع الخطبة عن البويهيين ومنع ارسال الاموال اليهم سنة 338هـ/ 949م، ولما علم معز الدولة البويهي بثورة عمران بن شاهين، جهز حملة عسكرية اسند قيادتها إلى وزيره أبي جعفر الصيمري ، ودارت رحى الحرب بين الجانبين ، وعلى الرغم من رجحان كفة الجيش البويهي ، الا ان عمران بن شاهين استمر في موقفه الصامد .

وقد حدث ما يقوي موقف عمران وهو حدوث خلل في منطقة شيراز ، فطلب معز الدولة البويهي من وزيره الصيمري وقف الحرب والتوجه إلى شيراز الإصلاح الأوضاع فيها . وقد افادت هذه المتغيرات عمران بن شاهين في تعزيز موقفه من جديد واعادة تنظيم قواته العسكرية.ان تكرر محاولات السيطرة البويهية على منطقة البطائح كلما سنح لها الفرصة وخدمتها الظروف في السنوات 339هـ/950م و344هـ 955م و 345هـ/ 956م و 355هـ/ 965م و 355هـ/ 966م و 360هـ/970م ، وقد فشلت كل هذه الحملات الابل عززت كل حملة من قوة عمران بن شاهين وامارته ضد الوجود البويهي، حتى لقد اعترف به الحكام البويهيون حاكما مستقلا وطلبوا مصاهرته ابان الصراع الاسري البويهي لكنه رفض كل هذه العروض ، وقد اثرت وفاة عمران بن شاهين على قوة الامارة سنة 369هـ - 978م، حيث ادت الصراعات الاسرية دورها في اضعاف امارة البطائح ، على الرغم من تولي المظفر الحاجب لولاية البطائح سنة 376هـ / 986م، وبعد وفاته تولى ابن اخته ابو الحسن علي بن نصر امر البطائح ، فقام بالاعتراف بالبويهيين وتلقب بـ مهذب الدولة .

لكن الأمور لم تستقر لمهذب الدولة اذ اعلن احد قادة الثورة عليه وهو ابو العباس ابن واصل ، وربما اعلن هذا ثورته ضد سيده بسبب مهادنته للبويهيين ، فسيطر على البطائح واخرج مهذب الدولة منها, ومما يؤكد ما ذهبنا اليه هو قيام بهاء الدولة البويهي بحملة عسكرية على مرة البطائح لإعادة مهذب الدولة الى حكم البطائح، لكن ابن واصل الحق هزيمة منكرة بهذا الجيش البويهي، ثم جهز البويهيون حملة عسكرية اخرى أشرف على تجهيزها وتدريبها عميد الجيوش البويهي ، وقد

اعادت هذه الحملة مهذب الدولة الى حكم البطائح مرة اخرى ، بعد أن فشلت الحملة العسكرية السابقة ، وجرت معارك عديدة انتهت بمقتل ابن اصل سنة 397هـ/ 1006م وبعد وفاة مهذب الدولة سنه 408هـ/ 1017م ، لم يستقر امر البطائح وذلك للخلافات الاسرية التي لم دع المنطقة تستقر.

لكن أمر البطائح لم يستقر ففي سنة 418هـ/1027م توجهت حملة عسكرية إلى البطائح بقيادة الوزير أبي محمد ابن نابهشاد ، فسيطر على البطائح وابتز أموال الناس وظلمهم وفرض الضرائب على الدور والزمهم بادائها. ضجر الناس من سلوك البويهيين معهم فقسم قرر الهجرة وترك البطائح وقسم قرر المقاومة ، وكان هنالك قائد طموح يسمى بالشرابي ، فحاول هذا خداع الوزير البويهي، وزين له ارسال الرجال والجيش الى مناطق مختلفة من البطائح لجمع الاموال ، ثم انقض هو وسكان البطائح على الوزير البويهي وقتلوه ، ثم كسروا السدود وقطعوا الطرق وظل الأمر هكذا الى سنة 432هـ/ 1041م الى ان جاء ابن العبراني واحتل البطائح سنة 433هـ/ 1042م ، فلجأ الشرابي الى دبيس بن مزيد الاسدي .

موقف بني مزيد من التسلط البويهي :

يرجع نسب بني مزيد الى بني اسد بن خزيمة من العرب العدنانية، وكانت أول علاقة لهم مع البويهيين ، هي طلب وزير معز الدولة ابي محمد المهلبي منهم حماية منطقة سورا وسوادها قبل سنة 352هـ/ 963م ولا نعرف بالضبط حقيقة موقفهم من الغزو البويهي للعراق فتارة كانوا مع البويهيين وتارة ضدهم، ويمكن أن يفسر هذا التذبذب بقو او ضعف البويهيين ، بل استغلوا الخلافات البويهية لصالحهم وايدو طرفا ضد آخر تحقيقا لرغباتهم، مثلما حصل اثناء الخلاف بين بها الدولة وصمصام الدولة ، وقد اعلن بنو مزيد استقلالهم عن البويهيين وسيطروا على المناطق التابعة لمدينة واسط في سنة 387هـ/997م فتوجهت اليهم قوة عسكرية بويهية استقرت في مدينة واسط، لتترقب الاوضاع وتطورها ، لكي تحسم الأمور في المنطقة ، اما بنو مزيد تحصنوا في أجامهم، ثم جرى الصلح بين الطرفين ، بعد ان البويهيون من صعوبة هذه المنطقة وصعوبة سير الجند البويهي فيها نظرا لوعورتها، وانتشار الغابات والادغال فيها ووجود الجداول والقنوات . وصعوبة ارسال الامدادات العسكرية والغذائية الى الجيش فيها، وقد اقر بهاء الدولة الصلح الذي تم عقده بين الطرفين .

تعرض العقيليون في سنة 387هـ/ 997م إلى هجوم بويهي ازاحهم عن منطقة المدائن التي كانت خاضعة لهم ، وقد أراد البويهيون ان لا يحدث أي تقارب بين بني مزيد وبين بني عقيل خوفا من توحد القوتين معا ضد الوجود البويهي في العراق ، ولكن بني مزيد وقفوا الى جانب العقيليين ، على الرغم من وجود بعض الخلافات بينهما الا وهو التنافس على حكم بعض المناطق ، إلا أن بني مزيد وحدوا قواتهم مع العقيليين وهاجموا القوات البويهية، وانزلوا بها خسائر فادحة وتم أسر

عدد من الجند البويهي الا أن قائد الجيش البويهي ابا جعفر الحجاج تمكن من اعادة تنظيم قواته وهاجم القوات الربية المشتركة في نواحي الكوفة وانزل بها خسائر فادحة واستباح المناطق الخاضعة لبني مزيد .

وفي سنة 393هـ/1002م اقر البويهيون بسيادة بني مزيد على المناطق التي يسيطرون عليها، لقاء مبلغ سنوي يؤدى إلى البويهيين في بغداد ومقداره اربعين الف دينار، وهذه محاولة من البويهيين لربط بني مزيد بهم خوفا من حدوث أي تقارب بينهم وبين آية قوة عربية في المستقبل، مثلما حدث مع بني عقيل، كما حاولت السلطة البويهية زرع الفتنة والشك بين بني مزيد وبين بني عقيل لمنع أي تقارب مستقبلي بين الطرفين، الا ان هذه الجهود ذهبت ادراج الرياح، ووقف بني مزيد مع القائد بدر بن حسنويه الكردي سنة 393هـ/ 1102م وسارت قواتهما وضربت حصارا على بغداد استمر شهرا كاملا ، في وقت كان الجيش البويهي مشغولا بقتال ابن واصل في منطقة البطيحة ، وكاد الطرفان يحرران العراق من الوجود البويهي، لولا الانتصار الذي حصل عليه الجيش البويهي في منطقة البطائح فآثرا الانسحاب عن بغداد. ولم يصطدم البويهيون مباشرة مع بني مزيد بل سعوا الى اقامة علاقات ودية ظاهرية معهم ، وعملوا سرا في اضعافهم بطرق عديدة منها تعميق الصراع الاسري بين افراد الاسرة واثارة مشكلات لهم مع بني دبيس الذين كانوا في نواحي الاحواز، حيث وقعت معارك بين الطرفين سنة 401هـ/ 1010م و 405 هـ/ 1014م. وفي سنة 408هـ/1017م توفي الأمير علي بن مزيد وتولى ابنه دبيس ، وقد أقره الحكم البويهي في بغداد على حكم المناطق التابعة له، ولم نعد نسمع بعد هذا التاريخ أي نشاط ملحوظ لبني مزيد بسبب الانشقاق الاسري ، كما نجح البويهيون مرة أخرى في احداث خلاف بين العقيليين وببين بني مزيد سنة 411هـ /1020م وسنة 417هـ /1026م، كما ان الامير المزيدي حاول ايضا تأجيج الصراع الاسري بين البويهيين مرة اخرى.

موقف بني عقيل من التسلط البويهي:

ادى ضعف الامارة الحمدانية في الموصل الى ظهور قوى جديدة في المنطقة كان من ابرزها قيام العقيليين بتأسيس دولة لهم في منطقة ولاية الموصل، وبخاصة بعد سنة 380هـ / 990م ، أسس هذه الامارة محمد بن المسيب الملقب بابي الذواد ، وقد اعترف به الحاكم البويهي اميرا على الموصل، وارسل نائبا عنه ليشرف على أوضاع الموصل ، الا ان ابا الذواد، اهمل هذا النائب ولم يقم له أي اعتبار مما أثار حفيظة البويهيين فارسلوا جيشا استطاع ان يدخل الموصل بعد أن انحر أكثر من مرة على يد العقيليين الذين ابدوا من ضروب الشجاعة ما اذهل البويهيين .

وبعد وفاة أبي الذواد تولى أخوه المقلد بن المسيب الامر من بعده واعد العدة لتحرير الموصل من يد البويهيين فدخلها سنة 386هـ /996م، ووسع نفوذ الامارة العقيلية وأصبح له نائبا في بغداد

، وسيطر العقيليون على مناطق واسعة من العراق مثل المدائن وداقوق والكوفة و الجامعين وقصر شيرين وقد تهيأ المقلد لطرد البويهيين من العراق ،واعد العدة لذلك، لكنه اغتيل من قبل أحد غلمانه من الأتراك سنة 391هـ / 1000م ، وتولى أمر العقيليين بعد وفاته ابنه الامير قرواش بن المقلد الذي حاول ان يوحد جهوده مع بني مزيد كما رأينا ذلك، لطرد البويهيين من العراق سنة 392هـ / 1001م، لكنه لم ينجح في هذه المهمة التي سبقه بها ابوه . وتكررت هذه المحاولة ايضا سنة 432هـ /1040م وسنة 441هـ 1049م، وجرت معارك بين الطرفين الأولى في الانبار والثانية مع البساسيري ، إذ استولى العقيليون على أموال تابعة للبويهيين .

العلاقات الخارجية مع الدول المجاورة والاجنبية:

عند الحديث عن اسباب زوال النفوذ البوبهي ، إن أحد أهم زوال نفوذهم هو السياسة الاقليمية التي ساروا عليها ، فقد كانت أهم مشكلة تتعرض لها البلاد الاسلامية هي كثرة تجاوزات الدولة البيزنطية، ولو رجعنا قليلا الى الوراء لوجدنا أن معظم الخلفاء العباسيين قد شاركوا في الصلات الإيقاف الدولة البيزنطية وتجاوزاتها على أراضي الدولة الاسلامية ، إذ شكل الجهاد محور العلاقة بين الدولتين الاسلامية والبيزنطية ، وما اشتهار كل من الخلفاء العباسيين كالرشيد والمأمون والمعتصم بالله، الا من خلال تلك العلاقة الحربية بين الطرفين ،وقد وصلت التجاوزات البيزنطية حدا لا يطاق تجاء الدولة الاسلامية ، ولم يحرك البويهيون أي ساكن لصد تلك الغارات ، وهم المسؤولون عن حماية المسلمين أمام الله سبحانه وتعالى وامام الخليفة العباسي الذي سلبوه كل شيء ولن يقوموا باية حملة عسكرية لوقف التحدي البيزنطي للمسلمين ،وقامت بهذا الدور الامارة الحمدانية مع ضعف امكاناتها الاقتصادية والبشرية ، وبدلا من أن يدعم البويهيون هذه الدولة ويقدموا لها الاستاد والدعم، نجد أن اغلب الأمراء البويهيون يعدون لها الحملات العسكرية المستمر، حتى سقطوها، لا لشيء ، الا لأنها قامت بدور مشرف في الجهاد ضد البيزنطيين؛ فعلى سبيل المثال فقد تم الفداء في سنه 335هـ/ 946م بين الحمدانيين والبيزنطيين، حيث فودي الفين وأربعمائة وثمانون أسيرا ،وبقي عند الروم مائتان وثلاثون أسيرا ففداهم سيف الدولة ، كما هاجم البيزنطيين في سنة 341هـ/952م، مدينة سروج وسبوا أهلها وغنموا أموالهم واخربوا المساجد وتكرر هذا العمل في السنوات اللاحقة، فكلما شعر البيزنطيون بضعف الجبهة الإسلامية كلما اغاروا عليهم وكلما تفرغ الحمدانيون للبيزنطيين ردوا عليهم ، وفي سنة 358هـ/ 968م بلغت تجاوزات الروم حدا لايطاق، فوصل الروم الى طرابلس وحمص .

أما عن علاقة البويهيين بالدولة الفاطمية في مصر فلم تكرن حسنة بالرغم من انتماء كلا الطرفين للفكر العلوي (البويهيون زيدية والفاطميون اسماعيلية)، وكان المفروض بالدولتان تنسيق

جهودهما لخدمة العالم الاسلامي ، لا التنافس على مناطق النفوذ ، وهذا ما حصل فعلا ، إذ تنافست كلتا الدولتين للسيطرة على بلاد الشام والحرمين الشريفين ، كما لم يؤمن البويهيون طريق الحج وهو أهم طريق في نظر المسلمين .

أما عن علاقة البويهيين مع الدولة السامانية فلم تكن جيدة ،وجرت حروب ومعارك بين الطرفين، حيث أشغلت هذه الحروب الدولة السامانية عن أعمال الجهاد في بلاد الترك وفي بلاد الهند ، ورفعت من مكانة الدولة السامانية والدولة الغزنوية بعد ذلك في نظر المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.وكانت في بعض الاحيان يتم عقد اتفاقات لتنظيم الامور بين الدولة السامانية والدولة البويهية فعلى سبيل المثال عقد في سنة 361هـ / 971م اتفاق بين الدولة السامانية والبويهيين باعتبارهم المسيطرين على مركز الخلافة العباسية في بغداد ، جاء فيه : ان يحمل ركن الدولة وعضد الدولة الى الامير منصور بن نوح الساماني في كل سنة مائة وخمسون الف دينار مع زواج نوح بابنة عضد الدولة، وحمل اليه من الهدايا والتحف ما لم يحمل مثله ، وكتب بينهم كتاب صلح وشهد فيه اعيان خراسان وفارس والعراق .

أما عن علاقة البويهيين مع الدول في منطقة الخليج العربي واليمن ،فقد كانت بلاد عمان تتمتع بشبه استقلال عن الدولة العباسية في المدة البويهية، فكلما تفرغ البويهيون لهم ارسلوا جيشا الى بلاد عمان والخليج فسيطروا على المنطقة، واعلنت هذه المناطق طاعتها لهم وخطبوا للبويهيين بها الى جانب الخليفة العباسي واذا بأن ضعف البويهيين وتغلب القرامطه عليها.وظلت الامور بهذا الشكل، حتى زوال النفوذ البويهي.

أما عن العلاقة مع بلاد الحجاز واليمن فكانت متذبذبة أيضا فمرة يخطب للخليفة العباسي ومرة يخطب للخليفة الفاطمي، وهذا ناتج عن التنافس على السيادة بين الخلافتين العباسية والفاطمية، فكلما قوي نفوذ أحدها خطب له ،والعكس صحيح، فعلى سبيل المثال ففي سنة 359هـ / 969م خطب بمكة المكرمة للمطيع الله، والقرامطة الهجريين، وخطب بالمدينة المنورة للمعز لدين الله الفاطمي، وخطب ابو أحمد الموسوي، والد الشريف الرضي، خارج المدينة المنورة للمطيع الله العباسي، فانظر عزيزي الطالب الى ما آلت اليه الأمور في تلك المدة.

أما علاقة اليمن بالخلافة العباسية والبويهيين فكانت متأرجحة تبعا لقوة الخليفة العباسي والامير البويهي، وقوة الدولة الفاطمية التي كان يهمها أمر اليمن بشكل كبير وذلك لمرور التجارة الهندية والصينية عبر موانيء اليمن، كما كانت تصل الخليفة العباسي والامير البويهي بعض الهدايا من ولاة اليمن .